

SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد **5**، العدد 2، أبريل 2019م

e-ISSN: 2289-9065

فضيلتي العدل والقوة في ضوء تدبر (آية التدبر) في سورة ص

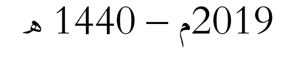
The virtues of justice and power according to consider (interpretation Aya) in surat Sad

د. حسنية عبدالله حسن حويج

جامعة البلقاء التطبيقية

المملكة الاردنية الهاشمية

husnhhwaij@yahoo.com



ARTICLE INFO

Article history:
Received 22/1/2019
Received in revised form1/2/2019
Accepted 20/3/2019
Available online 15/4/2019
Keywords: Opponent, Reminding, Intelligent, Blessed, True great news, Deep thinking.

ABSTRACT

The fundamentals of the state of righteousness in light of contemplating the verse of contemplation in "Surat Sad". This study examines "Surat Sad", especially the contemplation verse, which is the only verse among the four chapters of Koran (Al-Nesa', Al-Mo'minon, Sad, and Mohammad) , that explicitly ordered us to contemplate the Koran. It came in a Way different than others, and described the Book by the word " Blessing" , and Ordered the thoughtful people in particular to remember the Koran, and showed the difference between contemplating and remembering and the places where the word (Blessing) was mentioned . Whereas this verse came between the stories of the two Prophets and Kings: Dawood & Sulaiman, and whereas it carries some odd vocabularies that have not been mentioned in any other place, I can say that the fundamentals of the state of righteousness, are: (Justice and Ability). The Surah was focusing on: the reward for long patience, and finally the study reported some comments about the Holy Surah.

Keywords: Opponent, Reminding, Intelligent, Blessed, True great news, deep thinking.



ملخص البحث

هذه الدراسة لسورة (ص) و بالذات لآية التدبر في السورة الكريمة وهي الوحيدة التي ذكر فيها الأمر بتدبر القرآن صريحا بين المواضع الأربعة التي ذكر ت فيها مفردة التدبر(النساء، و المؤمنون، و ص، و محمد) وجاءت بإسلوب مغاير عما سواها، ووصف الكتاب فيها بالبركة و أُمر أولي الألباب خاصة بتذكر القرآن، لذا اجتهدت في هذه الدراسة لبيان الفرق بين التدبر والتذكر، و المواضع التي ذكرت فيها مادة (البركة). وحيث جاءت هذه الآية بين قصتي النبيين والمِلكيين: داود وسليمان اللتين اختصتا بغرائب من المفردات بعضها لم يذكر إلا فيهما، و بعضها الأخر ذكر لكن بإسلوب مغاير، جتهدت كذلك لبيان مزية تلك المفردات في موقعها، وخصوصية ذلك الأسلوب، ومن تينك القصتين استنبطت أهم مقومات دولة الحق وهما: (العدل والقوة)، وكان المحور الذي تمركزت حوله موضوعات السورة هو: المن بالعطاء بعد الصبر على الابتلاء، وأخيرا ذكرت بعض الخواطر حول السورة الكريمة.

الكلمات المفتاحية: الخصم، تذكر، أولوا الألباب، مبارك، النبأ، تدبر.



مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على الرحمة المهداة وآله ومن والاه

وصدق الله تعالى إذ قال:"طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ طه، لكن ما بال أمة القرآن صارت من أشقى الأمم، ما بالها تائهة في مجاهيل الحياة، أين ضياء القرآن و قد أنار الكون حين نزل، أين هداه وقد تصدّرت به أمته قمة الأمم، أعميت أبصار القوم؟ وهم على قراءته عاكفون، ولمناسباتهم به يفتتحون، والمسابقات لحفظته يعقدون، وبالإنتساب له هم يتفاخرون.. لكن لسان حالهم ينطق بخلاف ما يدعون، والعجب العجاب مما يفعلون، بل لا عجب فهم لكتابهم غير متدبرين وعلى ضوء هداه لا يسيرون، فقد تعددت آلهة القوم؛ فأغرقتهم في ظلمات الجهل ومستنقع الشهوات؛ فأقفلت بصائرهم عن تدبره، فلو استجابوا لأمر رب الأرباب؛لأصبحوا من أولي الألباب، ولفتحوا بذلك للخير كل باب، لكن هيهات هيهات، والأمة جلّها في طحان ومنازعات، وليتها فحسب في سبات؛ لهانت المصيبات وإن طال ليل السبات ، ولكن يبقى بالله الأمل؛ أن يشفيها من تلك العلل، إن اتبعت سنة الله في التغيير و تسلّقت بسلم العدل و القوة كل سبيل؛ عندها حتما سيأتيها من العليم المدد، ولن يخلف وعده – سبحانه - إذ قال:" إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴿١١﴾ الرعد، بهذا وحسب ينكشف عنها حجاب الجهل؛ فتبصر بحديد ضوء السعادات، ولا يكون إلا بطول صبر وصبر وعندها توهب من خزائن الرحمن المعجزات، تلك ومضات استوحيتها- بفضل الوهاب – من تدبر سورة ص، حيث أمر بذلك رب العباد:" كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾

وكنت قد عزمت على تدبر آية (التدبر) في السورة الكريمة لما يلي:



سبب اختيار الموضوع :

1- إن الآية المذكورة أعلاه في سورة ص هي الآية الوحيدة التي أمرت صراحة بتدبر القرآن وجاءت بإسلوب مغاير للمواضع الثلاثة التي جاءت فيها مفردة التدبر في كل من سورة النساء و المؤمنون ومحمد[1]

2- إن المواضع التي في غير سورة ص جاءت بإسلوب واحد وسياق واحد وهو الحث على التدبر بصيغة : أفلا, وأفلم, مخاطبة المنافقين والمشركين، حاثًّة لهم على تدبر القرآن للتوصل إلى حقيقة مصدره، مبينة سبب الصارف عن التدبر

3- إن مجيء آية ص بين قصتين عجيبتين لرسولين مِلِكين آوابين، بإسلوب الأمر، ووصف الكتاب فيها بالبركة، ومدح المتدبرين المتذكرين بأنهم أولوا الألباب، كل ذلك يوحي بوجوب العناية بما تضمنته تينك القصتين من أسرار و عجائب، من أهمها معرفة مقومات دولة الحق، فضلا عن المعاني التي تضمنتها السورة كاملة، وهذا هو شأن القرأن الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنضب معانيه, ولا يدرك ذلك إلا أولوا الألباب .

خطة البحث:

ستكون الدراسة ضمن مبحثين بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة, كالتالي :

المبحث الأول : الدراسة النظرية في مطلبين:

المطلب الأول: الفرق بين التدبر والتذكر في اللغة و ضمن السياقات التي ذُكرت فيها كل من المفردتين في القرآن الكريم

المطلب الثاني: دراسة السياقات التي ذكرت فيها الفاصلة القرآنية : (أولو الألباب)

المبحث الثاني : الدراسة التطبيقية، في مطلبين:

المطلب الأول: في استنباط المعاني المستوحاة من قصتي داود وسليمان -عليهما السلام – في ضوء ما أفدته من الدراسة النظرية، وعلى رجاء الفتوحات الربانية


[1] الآيات 82، 68، 24



المطلب الثاني: خواطر حول محور سورة ص

ثم ألخص في الخاتمة أهم نتائج البحث، را جية من الوهاب تعالى التوفيق والسداد والقبول

المبحث الأول: الدراسة النظرية في مطلبين:

المطلب الأول: الفرق بين التدبر والتذكرفي اللغة و ضمن سياقاتهما المختلفة في القرآن الكريم

أولا:– التدبر في اللغة وضمن سياقاته في القرآن الكريم:

ذُكرت مادة التدبرفي القرآن الكريم أربع وأربعين مرة[2], و الدبر في اللغة خلاف القبل، وجمعه أدبار[3]، قال ابن فارس: { الدال والباء والراء : أصل هذا الباب أن جلّه في قياس, وهو آخر الشيء وخلفه, خلاف قبله }[4]

وجاء في القرآن الكريم بهذا المعنى في أكثر من موضع منها على سبيل المثال قوله تعالى: "وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ الأنفال[5]، ويعني تدبر الأمر { تأمّله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه, ثم استُعمل في كل تأمل}[6] أي هو{ التوفيق بينّأوائل الأمور ومبادئها, و أدبارها وعواقبها, بحيث تكون المبادىء مؤدية إلى ما يريد من غاياتها, كما أن تدبر الأمر أو القول هو التفكر في دبره وهو ما وراءه وما يراد منه وينتهي إليه }[7] فالغرض منه إيقاع المقدرات تامّة فيما تقصد له محمودة العاقبة[8]، وجاء في القرآن الكريم بهذا المعنى حصرا في عدة مواضع منها قوله تعالى:" إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

([2]) ، عبد الباقي، محمد فؤاد (ت1967م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن:252 ، دار إحياء التراث العربي/ بيروت

([3]) ،الراغب، ابو القاسم، الحسين بن محمد(ت 502 هـ) مفردات القرآن: 164 تحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي 1961م

([4]) ،ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ) معجم مقاييس اللغة:355، تحقيق: عبد السلام هارون طبعة 1979م، دار الكتب

([5]) وانظر الآيات: يوسف 25، الحجر 66، الأنفال 7، 15، 50

([6])الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت 538 هـ،) الكشاف:540/1،دار المعرفة / بيروت

([7]) رضا، محمد رشيد(ت1935م) ، تفسير القرآن الحكيم(المنار): 242/11 الطبعة الأولى 1999م دار الكتب العلمية / بيروت

([8])ابن عاشور، محمد الطاهر(ت1973م) التحرير والتنوير:86/11، الطبعة الأولى 2000م، مؤسسة التاريخ/ بيروت.



وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ يونس[9]، ولا يملك إيقاع المقدرات تماما كما قُدّر لها إلا خالقها و من لا يعصون له أمرا، أما المكلّف فهو قادر على الوصول إلى أحسن النتائج بما أُهّل به من قدرات، وبهذا التدبر أُمر، وبه يَعرف حقيقة مصدر القرآن، ومن ثم العمل بما تضمنه. ثم ذكر-سبحانه- السبب الصارف عن التدبر من قبل المعرضين، وامتدح المقبلين العاملين بالقرآن بأنهم أولو الألباب، وذلك في أربعة مواضع، ثلاثة منها في سياق مخاطبة المشركين والمنافقين ،أولها في سورة النساء وهو قوله تعالى:"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ النساء، وذلك في سياق الحث على القتال مستنكرا على المنافقين تبييتهم ما لا يرضاه الله – تعالى – من القول وعدم طاعة رسوله، فلو تدبروا القرآن بصدق؛ لعرفوا حقيقة مصدره، وذكر –سبحانه- في موضع ثان سبب عدم تدبرهم القول: إنه صلى الله عليه وآله قد جاءهم بما هو خارج عن مألوفهم وما عليه آباءهم[10] قال تعالى:" أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ المؤمنون، وسبب ثالث، هو حجاب المعاصي على قلوبهم حتى أقفلت عن استقبال الحق قال تعالى:"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ محمد، أما الموضع الرابع فهو الوحيد الذي جاء خطابا للمؤمنين وهو قوله تعالى:" كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴿٢٩﴾ ص، وجاء مقترنا بالحث على التذكر، وإنه من خصائص أولي الألباب، و جاء ارتباط التذكر بإولي الألباب في أكثر من موضع في كتاب الله، سيأتي بيانها عند الحديث عن أولي الألباب

([9]) وكذلك في سورة يونس 21، الرعد 2، السجدة 5، النازعات 5

([10]) قطب، سيد إبراهيم حسين(ت1966م) ، في ظلال القرآن: 2474/4، الطبعة الثانية عشر 1986م دار العلم للطباعة والنشر/جدة



ثانيا: التذكر في اللغة وفي القرآن الكريم:

جاءت مادة التذكر في القرآن الكريم ثلاثا وتسعين ومئتي مرة[11]، و لهذه المفردة في اللغة أصلان كما قال ابن فارس:{ الذال والكاف والراء أصلان, عنهما يتفرع كلم الباب. فالمِذّكِر: التي ولدت ذكراً.. والأصل الآخر: ذكرت الشيء, خلاف نسيته، ثم حُمل عليه الذكر باللسان؛ ويقولون: اجعله منك على ذكر- بضم الذال- أي لا تنسه، والذكر: العلاء والشرف، وهو قياس الأصل، ويقال رجل ذُكُر وذكير، أي جيد الذكر شهم.}[12]وقال الراغب: {الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول..}[13] والذي تُعنى به هذه الدراسة هو المواضع التي جاء فيها الحث على التذكر والأمر به؛ للخلوص إلى التفرقة بينه وبين التدبر، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى:" **وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ** ﴿٢٢١﴾ البقرة[14]، وبعد استقراء الآيات التي ختمت بالحث على التذكر أو النعي على الذين أعرضوا عنه، واستعراض ما ذكره أئمة التفسير، وجدتهم مجمعين على أن سياق الأيات التي ذُكرت فيها تلك الفاصلة قد جاء ضمن أمور لا تحتاج إلا إلى أدنى تأمل للوصول إلى تبين حقيقة ما تدعو إليه تلك الآيات. وفيما يلي بعضا مما ذكروه:

يقول أبوالسعود عند تفسيره لقوله تعالى: "**وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ** ﴿٨٠﴾ الأنعام:{ وفي إيراد التذكّرِ دون التفكر ونظائره إشارة إلى أن أمرَ أصنامِهم مركوزٌ في العقول لا يتوقف إلا على التذكر }[15] مما يدل على أن قضايا العقائد مأخوذة بالفطرة حيث تناقلها بنو آدم من عهد أبيهم الخليفة الأول، وإنما يحجب عنها إقبال النفس على الشهوات[16]. و لخص ابن عاشور ما ذكره الإسكافي في التفرقة بين التذكر

---

(11) عبد الباقي، المعجم المفهرس: 270-275،

(12) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 368

(13) الراغب، المفردات: 179

(14) وفي سورة النحل آية 17 وسورة النور آية 1 وغيرها كثير

(15) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت 951هـ) إرشاد العقل السليم 390/2 ، دار إحياء التراث العربي /بيروت

(16) الشعراوي، محمد متولي (ت 1418هـ) التفسير، مطابع أخبار اليوم 1997م



والتفكر والتعقل في قوله تعالى:" وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ النحل قائلا: {وَأَبْدَى الْفَخْرُ فِي «دُرَّةِ التَّنْزِيلِ»[17] وَجْهًا لِاخْتِلَافِ الْأَوْصَافِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:" لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [سُورَة النَّحْل: 11] وَقَوْلِهِ:" قُولِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾[سُورَة النَّحْل: 12] وَقَوْلِهِ:"لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾النحل: بِأَنَّ ذَلِكَ لِمُرَاعَاةِ اخْتِلَافِ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى التَّأَمُّلِ بِدَلَالَةِ الْمَخْلُوقَاتِ النَّاجِمَةِ عَنِ الْأَرْضِ يحْتَاج إِلَى التفكر، وَهُوَ إِعْمَالُ النَّظَرِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْعِلْمِ. وَدَلَالَةُ مَا ذَرَأَهُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوَانِ مُحْتَاجَةٌ إِلَى مَزِيدِ تَأَمُّلٍ فِي التَّفْكِيرِ لِلِاسْتِدْلَالِ عَلَى اخْتِلَافِ أَحْوَالِهَا وَتَنَاسُلِهَا وَفَوَائِدِهَا، فَكَانَتْ بحاجة إِلَى التذكّر، وَهُوَ التَّفَكُّرُ مَعَ تَذَكُّرِ أَجْنَاسِهَا وَاخْتِلَافِ خَصَائِصِهَا. وَأَمَّا دَلَالَةُ تَسْخِيرِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ وَالْعَوَالِمِ الْعُلْوِيَّةِ فَلِأَنَّهَا أَدَقُّ وَأَحْوَجُ إِلَى التَّعَمُّقِ. عَبَّرَ عَنِ الْمُسْتَدِلِّينَ عَلَيْهَا بِأَنَّهُمْ يَعْقِلُونَ، وَالتَّعَقُّلُ هُوَ أَعْلَى أَحْوَالِ الِاسْتِدْلَال.}[18]. وهناك العديد من الأمثلة التي تؤكد مجيء هذه الفاصلة ضمن سياق ما هو معروف ومركوز في النفوس لا يحتاج إلا إلى التنبيه, وأوضح مثال ما جاء في سورة المؤمنين, من اعتراف الكافرين بملكية الله تعالى للأرض ومن فيها, عند سؤالهم عن ذلك في قوله تعالى:" قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ المؤمنون

المطلب الثاني: الفاصلة القرآنية (أولو الألباب):

ذُكرت هذه الفاصلة (أولو الألباب) في القرآن الكريم ست عشرة مرة[19]، واللب في اللغة هوخيار الشيء وخالصه، وقد غلب على ما يؤكل داخله، ويرمى خارجه من الثمر، واللَّبأ – بكسر الفاء وفتح العين – أوّل

([17]) الإسكافي،أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب (ت 431هـ) ، درة التنزيل:181، الطبعة الأولى 2002م، دار المعرفة بيروت/لبنان

([18]) ابن عاشور،التحرير والتنوير14:/118

وانظر الإسكافي ، درة التنزيل: 182

([19]) عبد الباقي، المعجم المفهرس: 99



اللبن[20]، قال ابن فارس: { اللام والباء، أصل صحيح يدل على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودة. فالأول ألب في المكان، إذا أقام به، يلب إلبابا، ورجل لب بهذا الأمر، إذا لازمه..والمعنى الآخر: اللب معروف، من كل شيء، وهو خالصه وما ينتقى منه، ولذلك سمي العقل لبا[21]، فا { اللب هو العقل الخالص من الشوائب،وسمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه، كاللباب واللب من الشيء، وقيل هو ما زكى من العقل فكل لب عقل وليس كل عقل لبا. ولهذا علّق الله تعالى الأحكام التي لا يدركها إلا العقول الزكية بإولي الألباب نحو قوله:" وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ " ﴿٢٦٩﴾ البقرة، إلى قوله:" أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ " البقرة}[22] واللب أيضا هو{ العقلُ الخالي من الهَوي، سُمِّيَ بذلك لأحدِ وجهين: إمَّا لبنائِه من لَبَّ بالمكانِ أقامَ به، وإمَّا من اللُّباب وهو الخالِصُ، يقال: لبُبْتُ بالمكان ولبِبْتُ بِضمِّ العينِ وكسرِها }[23]، ولأهمية هذه الفاصلة جاء ذكرها في أول تشريع ذكر بعد آية البر في سورة البقرة في قوله تعالى:" وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ البقرة، وهو التشريع الذي يتعلق بحفظ حياة الإنسان المكرّم عند خالقه سبحانه، ولا يعي سمو هذا التشريع ومدى عظمته ألا أولو العقول المبرأة من الهوى الساعية للتقوى، وأستطيع تصنيف هذه الفاصلة إلى مجموعات أربع، وفق السياق الذي ذكرت فيه:

الأول: سياق لفت الأنظار إلى سمو التشريع الرباني؛ وأن الحياد عنه شقاء للبشرية وهلاك للأمم، ومثاله آية القصاص في سورة البقرة وآية الطلاق، أي في أول موضع وآخر موضع ذكرت فيه هذه الفاصلة.

([20]) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711 هـ) لسان العرب: 12/214-219، الطبعة الأولى، دار صادر/ بيروت

([21]) ابن فارس، معجم مقاييس: اللغة 899-900

([22])الراغب، المفردات: 446

([23]) السمين الحلبي،احمد بن يوسف بن عبد الدايم(ت756هـ) الدر المصون: 2/258، دار الكتب العلمية /بيروت



الثاني: في سياق الحث على الصبر، سواء أكان على الطاعة أم عن المعصية، ومثاله ما جاء في سورة البقرة من الحث على الصبر عن الرفث والفسوق والجدال في الحج والأمر بالتزود بالتقوى[24]، وما جاء في سورة المائدة من الحث على الصبرعلى الطاعة في حرمة صيد البر للمحرم[25]

الثالث:- في سياق المدح، ومثاله في سورة البقرة من مدح المنفقين في سبيل الله[26]، ومدح الراسخين في العلم في سورة آل عمران آية[27]، وفي السورة ذاتها في مدح من يدركون أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات دالة على الخالق سبحانه[28]، وجاءت كذلك في الرعد في مدح الذين استجابوا لربهم وذلك بضرب المثل للحق والباطل[29]، وكذلك في سورة الزمر في مدح الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه[30] وفي السورة ذاتها في سياق مدح الذين يستدلون على البعث من تجدد الحياة على الأرض[31] .

الرابع: في سياق العظة بما حلّ بمن كفر بالله، ونفي التساوي بينهم وبين من اتبعوا سبيل الحق، ومنه ما جاء في سورة يوسف في سياق الحديث عن قصص الأولين وأنها لم تذكر ألا للعبرة[32]، وكذلك جاءت في سورة إبراهيم[33] و في سورة ص[34]وفي سورة الزمر في سياق نفي التساوي بين العابد الذي يرجو الآخرة، و بين من هو عنها لاهٍ، فلا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون[35].

([24]) آية 197

([25])آية 100

([26])آية 269

([27])آية 7

([28])آية 190

([29]) آية 19

([30]) آية 18

([31]) آية 21

([32])آية 111

([33]) آية 52

([34]) آية29

([35]) آية 9



اقتران التذكر بأولي الألباب:

جاء اقتران التذكر بأولي الألباب في تسعة مواضع في القرآن الكريم[36]، منها قوله تعالى في سورة البقرة:" وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ البقرة، وجاء كذلك في سياق مدح الراسخين في العلم في سورة آل عمران وهم الذين آمنوا بكون القرآن منه المحكم والمتشابه وكلا من عند الله، يقول الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: " هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ.. ﴿٧﴾ آل عمران:{ وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ وَهَذَا ثَنَاءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ، وَمَعْنَاهُ: مَا يَتَّعِظُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا ذَوُو الْعُقُولِ الْكَامِلَةِ، فَصَارَ هَذَا اللَّفْظُ كَالدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ، فَيَعْلَمُونَ الَّذِي يُطَابِقُ ظَاهِرُهُ دَلَائِلَ الْعُقُولِ فَيَكُونُ مُحْكَمًا، وَأَمَّا الَّذِي يُخَالِفُ ظَاهِرُهُ دَلَائِلَ الْعُقُولِ فَيَكُونُ مُتَشَابِهًا، ثُمَّ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْكُلَّ كَلَامُ مَنْ لَا يَجُوزُ فِي كَلَامِهِ التَّنَاقُضُ وَالْبَاطِلُ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ الْمُتَشَابِهَ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنًى صَحِيحٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. }[37]

وجاء في آخر آية في سورة إبراهيم مبينا وظيفة هذا الكتاب التي هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولا يعي ذلك إلا خاصة أصحاب العقول[38]، وهكذا في سياقاته المختلفة جاء في أمور واضحات تهتدي إليها العقول السليمة ذات اللب المبرء من الهوى ولم ينصرف عنها الجاحدون إلا اتباعا لأهواء نفوسهم .

المبحث الثاني : الدراسة التطبيقية، في مطلبين:

المطلب الأول: في استنباط المعاني المستوحاة من قصتي داود وسليمان –عليهما السلام–

توسّطت الآية الوحيدة التي جاء فيها الأمر بالتدبر لخصوص المؤمنين بين قصتي داود وسليمان –عليهما السلام –، ووصف الكتاب ب(مبارك) وأن تذكر هذا التدبر من خصائص أولي الألباب، وعليه يجب العناية بدراسة

([36]) انظر على التوالي البقرة 269، و آل عمران 7، والرعد 19، و إبراهيم 52، وص 29، 43، و الزمر 9،21، وغافر54

([37]) الرازي، مفاتيح الغيب: 148/7

([38]) إبراهيم آية 52



تينك القصتين بخصوص موضعهما في سورة ص وهذا ما سأحاول استباطه مستعينة بالله تعالى على ضوء ما أفدته من الدراسة النظرية :

(داود):

ورد ذكر داود –عليه السلام– في القرآن الكريم خمس عشرة مرة(39)، وكانت سورة ص هي الأخيرة التي ذكر فيها، والأكثر ذكرا له، والأعجب حديثا عنه، حيث تصدَّر الحديث فيها بصيغة (وهل أتاك) وهذا الأسلوب لم يرد في القرآن إلا في ستة مواضع(40) منها ما جاء في سورة ص موضع الدراسة، وهو الوحيد من بينها الذي جاء بمفرة (نبأ) أما غيرها فجاء مع مفردة (حديث) فما هو سبب تفضيل كل من تلك الصيغة وهذه المفردة عن مفردة حديث:

(وهل أتاك):

{هذا الاستفهام هو توقيف مضمّنه تنبيه النفس إلى استماع ما يورد عليها، وهذا كما تبدأ الرجل إذا أردت إخباره بأمر غريب فتقول أعلمت كذا وكذا، ثم تبدأ تخبره.}(41) وهذه الصيغة أبلغ في تقرير الجواب في قلب السامع(42){ وَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّشْوِيقِ إِلَى الْخَبَرِ مَجَازًا وَلَيْسَ مُسْتَعْمَلًا فِي حَقِيقَتِهِ .. وَأُوثِرَ حَرْفُ (هَلْ) فِي هَذَا الْمَقَامِ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى التَّحْقِيقِ لِأَنَّ (هَلْ) فِي الِاسْتِفْهَامِ مِثْلُ (قَدْ) فِي الْإِخْبَارِ}(43). ومفردة أتى تفيد المجيء بسهولة(44)، وكذلك جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم للحديث عن أمر غريب، يستدعي التشويق والتحقيق معا، بداية من حديث موسى عليه السلام الذي أراد قبسا يهتدي وأهله بضوئه ليصلوا إلى غايتهم، فأراد الله تعالى غاية أسمى، أراد وصول موسى إليه تعالى، وأراد نورا تهتدي به أُمَّة(45)، وأراد إبراهيم الخليل عليه السلام أن يكرِّم ضيوفا منكرين وأراد الله إكرامه بغلام عليم، وإراحة العالم من قوم مجرمين(46)، أما الحديث عن

(39) البقرة 251، و النساء 163، والمائدة 78، والأنعام 84، والإسراء 55، والأنبياء 79، والنمل 15،16، و سبأ 10،12، و ص 17،22،24،26

(40) السور على التوالي: طه 9، وص 21، والذاريات 24، والنازعات 15، والبروج 17، والغاشية 1

(41) ابن عطيه، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام (ت546هـ) المحرر الوجيز: 38/4 ، الطبعة الثانية 2007م وزارة الأوقاف القطرية

(42) الرازي، مفاتيح الغيب: 22/16

(43) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 193/16

(44) الراغب، المفردات: 8

(45) سورتي طه 9، والنازعات 15

(46) سورة الذاريات 24



الجنود[47] واختيارهم بالذات من بين من أهلكهم الله تعالى ففي قمة الغرابة حيث جمع بين العرب والعجم وقد أهلك كل منهما بمتناقضين: مادة الحياة ونهاية الحياة، الماء والصيحة، وكلا النبيين الكريمين موسى وصالح – عليهما السلام –خرجت معجزته من مادة صماء ميتة إلى حياة تسعى[48]، وفي هذا قمة التهديد لمن كذب سيد الخلق وحبيب الرحمن صلى الله عليه وآله، وأخيرا يأتي الحديث عن انقسام الناس يوم الغاشية:" هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ﴿٣﴾ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ....﴿٤﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ نَّاعِمَةٞ ﴿٨﴾ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿١٠﴾ الغاشية، استنبط مما تقدم أن الحديث عن الخصم الذين تسوروا المحراب في سورة ص موضع الدراسة لا بدّ أن يكون ذا شأن، حيث جاء بالصيغة ذاتها (هل أتاك) بل أغرب من ذلك أنَّه الوحيد الذي جاء بمفردة (النبأ) بدل (الحديث) و(النبأ): {خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرّى عن الكذب، كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه الصلاة والسلام}[49]، قال ابن فارس: { نبو:النون والباء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع في الشيء عن غيره أو تنح عنه}[50] و{ النون والباء والهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان }[51]،ولا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبَر[52]، أما (الحديث) فهو: كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي، في يقضته أو في منامه، حيث الحدوث هو: كون الشيء بعد أن لم يكن، عرضا كان ذلك أو جوهرا[53]. ولم تأت هذه المفردة (النبأ) في القرآن الكريم إلا بمعنى ذي شأن عظيم مثل أخبار الغيب[54]، و التنبيه لأمر عظيم

([47]) سورة البروج 17

([48]) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885 هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 365/21، دار الكتب العلمية / بيروت

([49]) الراغب، المفردات: 481

([50]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة : 973

([51]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 973

([52]) العسكري، أبو هلال، الحسين بن عبدالله بن سهل (ت400هـ) الفروق اللغوية: 53، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية/بيروت

([53]) الراغب، المفردات: 110، وانظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 235

([54]) أنظر سورة البقرة 31، هود 100، يوسف 37، المجادلة 6



من شؤون الدنيا[55] وعلى العموم فإن كل المواضع التي ذكرت فيها هذه المفردة (النبأ) في القرآن ارتبطت بأمر يتعلق بالإيمان بطريق مباشر أو لزومي،[56] إلا ما جاء في سورة ص من نبأ الخصم:" وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ..وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ص، وحيث جاءت هذه المفردة في السورة مختلفة عن مثيلاتها التي ذكرت بالصيغة ذاتها : (هل أتاك) و جاءت بهذه المفردة (نبأ) بدل (حديث) كما في غيرها، و جاءت في جميع سياقاتها بشأن عظيم، فلا بدَّ أنها ذكرت هنا للسبب ذاته، أي لأمر عظيم، وهو التأكيد على الالتزام (بالعدل) الذي هو أساس الملك، وهو شأن عظيم[57] لا يستقر الملك إلا به، لذا أراد الحق — و هو أعلم سبحانه- أن ينبّه إليه أعظم ملوك الأرض، الملك الآواب الرحيم، داود — عليه السلام- الذي آتاه الله الملك:" فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴿٢٥١﴾البقرة، وقد جعل الله - تعالى- له الخلافة كذلك[58]:" يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ. ﴿٢٦﴾ ص، تلك الخلافة التي لم يذكر القرآن جعلها لغير داود بعد آدم[59]— عليهما السلام – وابتلاه بالخصمين الذين تسوروا المحراب؛ فعرف داود الحكمة من هذا الابتلاء، وإلى ربه أناب، تماما كتجربة آدم حيث ابتلاه ربه وأناب، فكانت تلك التجربة سلاحا معينا لداود في وظيفة خلافة الأرض، كما كانت لأول خليفة[60] ومما يؤكد تسليح داود بما يؤهله لخلافة الأرض؛ وصفه بذي الأيدي التي تعني القوة في كل شيء، من علم وحكمة وعبادة..وهي مؤهلات خلافة الأرض{والْأَرْضِ: أَرْضُ مَمْلَكَتِهِ الْمَعْهُودَةِ، أَيْ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الْأَرْضَ مُرَادًا بِهِ

---

(55) أنظر التوبة 94، الحجرات 6، التحريم 3

(56) **فمن الأول ما جاء في كل من سورة الأنعام67،34 والتوبة7 و يونس71 و إبراهيم9 و الشعراء 69 و القصص66،3، و التغابن5، و النبأ 1 والقمر4، ومن الثاني ما جاء في المائدة 27، والأعراف 175، والكهف 47**

(57) كما ذكر الحق سبحانه الإحسان إلى الوالدين بسياق عدم الشرك به تعالى

(58) **وكان قبله النبوة في سبط، والملك في سبط آخر، فأعطاهما الله تعالى لداود.انظر النيسابوري،أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت 373هـ) بحر العلوم: 165/3، المكتبة الشاملة، تاريخ الإضافة 2010م**

(59) آية 30 سورة البقرة

(60) انظر فضل الله، محمد حسين(ت2010م) من وحي القرآن: 248/19، الطبعة الثانية 1998م، دار الملاك/بيروت



جَمِيعُ الْأَرْضِ فَإِنَّ دَاوُدَ كَانَ فِي زَمَنِهِ أَعْظَمَ مُلُوكِ الْأَرْضِ فَهُوَ مُتَصَرِّفٌ فِي مَمْلَكَتِهِ وَيَخَافُ بَأْسَهُ مُلُوكُ الْأَرْضِ فَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ إِذْ لَا يَنْفَلِتُ شَيْءٌ مِنْ قَبْضَتِهِ}[61]، وفي ذلك تأكيد على عظم شأن (العدل)، حتى إنه قُرن بأعظم شأن في حياة المؤمن وهو (الإيمان) ثم إن المفردات التي تضمنتها القصة كلها تحمل معنى العدل وهي: الحكمة، وفصل الخطاب، واحكم بيننا بالعدل، ولا تشطط، واهدنا سواء الصراط[62]، ومما يؤكد هذا المعنى كذلك ارتباط العدل المتمثل في (الميزان) ب(الحديد) في قوله تعالى:" لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾ الحديد، الذي ليّنه الله –تعالى– لداود:"وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ سبأ، والحديد يعني القوة الداعمة لتثبيت العدل،بالإضافة إلى كونه أساس البناء والصناعات، وفي ذلك دليل على مدى قوة دولة داود –عليه السلام– وهو الوحيد بين الأنبياء من غير أولي العزم، الذي ذكر القرآن أنه أوتي شريعة:"وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ النساء، وجاء في السياق ذاته في سورة الحديد، الحديث عن الرأفة والرحمة التي جعلها الله تعالى في قلوب الذين اتبعوا عيسى، وهي واحدة من أبرز صفات داود كذلك، وهناك مشترك آخر بين النبيين الكريمين– عليهما السلام– وهو تعرُّض كل منها للإفتراء العظيم من قبل بني إسرائيل فيما يمسّ العفة والشرف؛ ولعلّ ذلك كان أحد أسباب لعن بني إسرائيل على لسان هذين النبيين،على الرغم من شدة رأفتهما ورحمتهما:" لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ

([61]) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 242/23

([62]) الحكمة هي: الإصابة في الأمور، وفصل الخطاب: هُوَ الْبَيَان الْفَاصِل بَين الْحق وَالْبَاطِل، ولا تشطط: لَا تجر: لَا تبعد عَن الْحق، واهدنا إِلَى سَوَاء الصِّرَاط أَي: إِلَى الطَّرِيق الْمُسْتَقيم الصَّوَاب وَالْعدْل، انظر السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار(ت489هـ) تفسير القرآن: 4/ 432، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، طبعة1996م، دار الوطن/الرياض،والبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت 510هـ) و معالم التنزيل 58/4،المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى 1420هـ، دار إحياء التراث العربي/بيروت



بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾المائدة، وسواء أكان الخصمان اللذان تسورا المحراب على داود اثنين أم جماعة[63] وسواء أكانوا بشرا أم ملائكة[64]، فالعبرة بالمقصد من الحدث لا بتفاصيله، و مما يؤكد عظم ملك داود كذلك؛ التعبير بمفردة (المحراب[65]حيث يشير معناها إلى العلو والتحصين لأن أصل هذه المفردة يعود إلى معنى السّلب، فكأن الجالس فيها محمي من السلب سواء سلب العدو أم سلب وساوس الشيطان، وربما لهذا المعنى أُطلقت على أماكن العبادة وعلى الحصون والقصور[66] ، قال ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى:" يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ سبأ:{ وَالْمَحَارِيبُ: جَمْعُ مِحْرَابٍ، وَهُوَ الْحِصْنُ الَّذِي يُحَارَبُ مِنْهُ الْعَدُوُّ وَالْمُهَاجِمُ لِلْمَدِينَةِ، أَوْ لِأَنَّهُ يُرْمَى مِنْ شُرُفَاتِهِ بِالْحِرَابِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْقَصْرِ الْحَصِينِ. وَقَدْ سَمَّوْا قُصُورَ غُمْدَانَ فِي الْيَمَنِ مَحَارِيبَ غُمْدَانَ. وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ. ثُمَّ أُطْلِقَ الْمِحْرَابُ عَلَى الَّذِي يُخْتَلَى فِيهِ لِلْعِبَادَةِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمَسْجِدِ الْخَاصّ}[67] فمجيء هذه المفردة بهذا الموضع أصدق تعبيرا عن ضخامة المكان الذي تحصّن فيه داود من وساوس الشيطان وعدو الزمان[68]، لكنه لم ينج من عتب الرحمن، حيث احتجب عن خدمة عباده، بالإضافة إلى تسرّعه في إطلاق الحكم دون تحري العدل، وذاك مما لا يليق بذي القوة الآواب، وربما

([63]) أرجّح كونهم جماعة بناء على ضمائر الجمع : (تسوروا)، و (دخلوا)، و(منهم)، وما جاء في سورة الحج :" هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴿١٩﴾ بضمير الجمع (اختصموا)، وهما فريقان أي جماعات كثيرة : فريق في الجنة وفريق في السعير

(**[64]) قيل لا خلاف في كونهما من الملائكة انظر، أبو حيان، محمد بن يوسف (ت754هـ)، البحر المحيط: 9/147 ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية/ بيروت 2001م**، والآلوسي، شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني (ت1852م) روح المعاني:172/12، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية / بيروت، ولكن مما ينافي دعوى الإجماع، رد بعض المفسرين كون الذين تسوروا المحراب ليسوا من الملائكة، منهم المراغي: **أحمد مصطفى (ت1952م) التفسير 111/23، طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1365هـ**

([65]) وردت مشتقاتها في القرآن 11 مرة، انظر عبد الباقي، المعجم المفهرس: 196

([66]) انظر الراغب المفردات: 112 ، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 239

([67]) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 160/22

([68])وهذا المعنى يجعلني أرجّح كون الذين تسوّروا المحراب من الملائكة حيث أستبعد تجرؤ البشر ومقدرتهم على تسوّر الحصن مع علوه وحراسته



جاء التعبير بمفردة (نعجة) للدلالة على القطيع من الناس، حيث تنقاد الشعوب في الغالب من قبل الملوك كالنعاج من قبل الراعي، وكثيرا ما يطمع الملوك بضم البلدان المجاورة لمملكتهم واستعباد أهلها، كما عبّرت عن ذلك ملكة سبأ:" قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ النمل، فجاء التنبيه من ملك الملوك إلى نبيه وأعظم ملوك الأرض في زمنه ليكون ذلك دستورا سماويا لمن تحدثه نفسه الطمع في استغلال الشعوب، ولم ترد هذه المفردة (نعجة) بصياغاتها المختلفة إلا في هذه السورة، التي محورها الصبر، ولا يطيقه من ملوك الأرض إلا أولي الأيدي في عبادة المولى، وقليل ما هم، وهذا ما استنبطته من قوله تعالى:" وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ﴿٢٤﴾ ص، وقد فهم داود --عليه السلام- الحكمة من تلك الفتنة؛ فخر راكعا وأناب، حيث جاء بعدها قوله تعالى:" يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ص، ويؤكد ذلك – والله أعلم – التعقيب القرآني على قصة داود:" وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ص، فكون السموات والأرض لم تخلق عبثا، يقتضي ضرورة إنزال شريعة تنظم شأنهما، إذ ليس من الحكمة تركهما بلا شريعة ربانية، لا يستوي من حكم بها هو ومن يفسد في الأرض:" أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ



كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ص، ولا يدرك ذلك إلا أولوالألباب. وتحقق (العدل) هو الشأن الأعظم في تلك الشريعة؛ لذا حظيت هذه الفضيلة بتلك التنبيهات العظام، ومن كمال نعم الله على داود أن وهبه المولى تعالى من يُكمل مسيرته في إقامة شرعِ الله، وقد جاء سالما من كل النواقص، شديد الحب للقوة؛ التي هي الضامن الأكيد لتلك الغاية, أحبها حبا ناشئا عن ذكر ربه(69) ، تمثلت تلك القوة بالخيل التي معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة كما قال رسولنا الكريم –عليه و آله أزكى الصلاة و التسليم(70) ،فكيف إذا كانت من الصافنات الجياد ؟ (71):"وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ ص، لذا ما إن توارت عن ناظره حتى طلب إعادتها ليوكافئها، مربتا على سوقها و أعناقها(72)، مقلّدا سائقيها أرفع الأوسمة، معززا لهم حسن تدريبها وإعدادها لنشر الخير بتحقيق هيبة دولة الحق؛ كي لا يجرؤعلى اقتحام ساحتها عدو، وكأن هذا الاستعراض كان ضمن حشر الجنود لسليمان – عليه السلام – الذي ذكر في سورة النمل:" وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ النمل{ وهو موكب

(69) قال الرازي: {أَنَّ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الشَّدِيدَةَ إِنَّمَا حَصَلَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ لَا عَنِ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَى، وَهَذَا الْوَجْهُ أَظْهَرُ الْوُجُوهِ} مفاتيح الغيب390/26

(70) البخاري: أبو عبدالله، محمد بن اسماعيل (ت256هـ) الصحيح،**كتاب الجهاد والسير**،**باب الخيل معقود في نواصيها** الخير،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى 1422هـ، دار طوق النجاة

(71) {والصافنات: جمع الصافن من الخيل، والأنثى: صافنة، والصافن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بين يديه، ويثني طرف سنبك إحدى رجليه، وعند آخرين: الذي يجمع يديه... وأما الجياد، فإنها السِّراع، واحدها: جواد} انظر الطبري، جامع البيان: 192/21-193

(72) {جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حبا لها} هذا ما رجّحه الطبري وهو قول ابن عباس انظر جامع البيان 196/21.وللرازي كلام جيد في ذلك، انظر مفاتيح الغيب 26/ 392، وقال سيد قطب – رحمه الله – : إنه لم يرتح لما ذكر عن الصافنات الجياد أو الفتنة التي تعرض لها سليمان –عليه السلام – من تأويلات لأنها إما إسرائيليات أو روايات لا سند صحيح لها، سوى الحديث الذي ذكر في البخاري لكن علاقته بهذين الحادثين ليست أكيدة، ومن ثم لا يستطيع متثبت أن يقول شيئا عن تفصيل هذين الحادثين المذكورين في القرآن، انظر في ظلال القرآن 3020/5. والحديث المقصود هوما رواه أبو هريرة أن سليمان قال لأطوفن الليلةعلى سبعين إمرأة كل تلد ولدا يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فلم تلد إلا واحدة بشق جسد, أنظر البخاري: الصحيح كتاب النكاح، باب قول الرجل: لأطوفن الليلة على نسائي، رقم الحديث: 4944



عظيم، وحشد كبير، يجمع أوّله على آخره «فَهُمْ يُوزَعُونَ» حتى لا يتفرقوا وتشيع فيهم الفوضى. فهو حشد عسكري منظم. يطلق عليه اصطلاح الجنود، إشارة إلى الحشد والتنظيم.}[73]

ويبدو بعد هذا الاستعراض العظيم أنّه قد خطر لسليمان ما أشعره بالعظمة[74] – والله أعلم– ، لكن اللطيف الرحيم لا يترك أولياءه وأصفياءه لوساوس الشيطان، بل يتولاهم برحمة الابتلاء ليكونوا أنقى الأصفياء[75]؛ فأصابت الفتنة سليمان فأصبح على كرسيه جسدا بلا حراك[76]، ثم إلى ربه أناب، :"وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ، وهذا حال المتقين:" إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ الأعراف، فاستغفر سليمان ربه؛ ولعلمه بعظيم كرمه طلب ملكا لا ينبغي لأحد من بعده:"قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ص، فكان له ما أراد، فسخر له الوهاب حتى من وسوس له، وكفّ عنه مردتهم، وأطلق يده بالعطاء والمنع، و وعده بالزلفى وحسن المآب:" فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ص،ومن هبات الرحمن لسليمان

---

(73) سيد قطب، في ظلال القرآن: 2636/5

(74) إن الابتلاء الذي حدث لسليمان كان جزاء على شيء صدر منه –كما تومئ الآية الكريمة– ولكن الله –تعالى– لم يبين هذا الشيء، وما ذكره المفسرون في بيانه وتحديده لا يقوم على أساس, كما قال مغنيه: محمد جواد(ت1979م) التفسير الكاشف 379/6،الطبعة الرابعة 1990م دار العلم للملاين، بيروت/ لبنان، وكذلك لم يرض ابن عاشور ما ذكره المفسرون من تأويلات لهذا الابتلاء انظر التحرير والتنوير 260/23

(75) قال فضل الله:{ في حصول نوع من البلاء الذي أنزله الله على سليمان، ليكون بمثابة الصدمة الروحية التي تثير لديه الكثير من الأفكار حول القضايا المتصلة بموقعه من الله ورجوعه إليه، وطاعته والانقياد له في كل الأمور} من وحي القرآن 263/19

(76) هذا واحد من الوجوه التي رجّحها الرازي، انظر مفاتيح الغيب 394/26



أنه تعالى سهّل له سُبُل المواصلات وسرعتها وأذاب له النحاس، وسخر له أقوى البنائين:"وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ سبأ:" وبذلك تكون القوة قد تحققت عنده بكل أجناسها و أنواعها، ومن المعلوم أن انصهار الحديد مع النحاس هو أمتن أنواع القوى و قد أشارت سورة الكهف إلى ذلك في صنيع ذو القرنين عندما أقام سدا منيعا في وجه يأجوج ومأجوج:" ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ الكهف.

وبانضمام قصة الابن لأبية –عليهما السلام– تكون الصورة قد اكتملت جلاء وجمالا في بيان مقومات دولة الحق التي جعلت إنموذجا لبناء المدينة الفاضلة وأهمها: (العدل والقوة) بأجناسها وأنواعها، علمية، وصناعية، و بنائية، و عسكرية.. نهضة عامة شاملة لاستغلال عناصر الطبيعة ما دامت الحياة قائمة.

وبين تينك القصتين العجيبتين: فتنة الأوابين الملكين العظيمين داود وسليمان، وبيان مقومات دولة الحق، توسّطت آية الأمر بتدبر الكتاب المبارك، كتاب شرف الأمة الذي ينبغي أن يكون في صدارة التذكر ولا يعي ذلك إلا أولو الألباب، ولن تحظى البشرية برغد العيش في تلك الدولة إلا بإقامة تلك المقومات، كيف لا وقد حظيت برغد العيش المادي دول أقيمت على أساس العدل والقوة رغم تنحيتها شرع الله، لأن تلك المقومات هي أساس إقامة دولة الحق للبشرية كافة مؤمنهم وكافرهم على السواء، فإن أضاف المؤمن إقامة شرع الله في نفسه وأهله فقد حظي بالرغد التام: ماديه ومعنويه، أما الدليل على على كون كل من العدل والقوة أساس إقامة دولة الحق بالإضافة إلى ما سبق من القصتين فهو النصوص المتعدد من كتاب الله التي تأمر نبي الرحمة وأمته بالعدل بين الناس كافة على السواء مؤمنهم وكافرهم، منها:-:" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ



أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ المائدة[77]، وقد أخبرنا قرآننا العظيم أن هلاك الأمم لا يقع إلا بوجود الظلم، قال تعالى:"وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ هود[78]،

أما عن (القوة) فيكفي أمره تعالى الأمة بالإعداد في قوله تعالى:" وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴿٦٠﴾ الأنفال

المطلب الثاني: خواطر حول سورة ص:-

محور سورة ص: الصبر على البلاء ثم المنّ بالعطاء[79]:-

يرمز هذا الحرف (ص) في السورة الكريمة بما أراه – والله أعلم – إلى الصبر حيث يدور محور السورة الكريمة حول الصبر، وفيما يلي بيان ذلك:

– حث الكفار بعضهم بعضا على الصبر على عبادة آلهتهم المزعومة، قال تعالى: " وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ص

– أمر الله تعالى رسوله الكريم– صلى الله عيه وآله – بالصبر، وذكّره بداود – عليه السلام – وإنّه (آواب) :"ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ص، ومن هذا الوصف استنبط شدة صبر داود– عليه السلام– بدليل أن هذا الوصف اختص به نبي الله أيوب الذي يُذكر

([77]) وانظر سورة النساء 58، الشور15،

([78]) وانظر سورة الكهف 59، القصص 59

([79]) قيل: إن حرف (ص) في السورة الكريمة يدل على مضمونها وهو كثرة الخصومات التي كانت بين الأنبياء وأقوامهم، انظر ما قاله شيخنا أ.د فضل حسن عباس، تفسير القرآن المجيد: 2009/4،إعداد الجمعية العلمية/ جمعية المحافظة على القرآن الكريم، نشرته إذاعة حياة عمان الطبعة الأولى 2017م



مثالا للصبر، وكثرة الإياب إلى الله – تعالى – بل هو مشتق من اسمه، ولم يرد هذا الوصف إلا لثلاثة أنبياء ثالثهم سليمان الذي يذكر دائما مع أيوب، مما يعني أن هؤلاء الكرام كانوا قمة في الصبر وقمة في العبادة "ذَا ٱلۡأَيۡدِ ﴿١٧﴾ ص، وقمة في العطاء الرباني من خزائن الوهاب:" أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ ص، وهذه المنحة الربانية هي التي سيتكرّم المولى – تعالى – بمنحها لحبيبه المصطفى ولأمته إن صبرت على التزام منهج الله، وهو ما حصل بالفعل حيث أُعطي المصطفى الكوثر[80]، وفُتحت على أمته كنوز الدنيا، وهزم الله بهم الأحزاب: "جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ ص، كما هزم الأحزاب من قبلهم وقد كانوا أشد منهم قوة ": كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ص

- إن التوصل لفهم المعاني الغريبة في السورة الكريمة وفهم القصص الواردة فيها يحتاج لقوة في العبادة وقوة في تحصيل العلم والإنابة إلى المولى سبحانه كي توهب لمن حصلها خزائن الفتوحات الربانية، وحيث إن كل ما ورد في هذه السورة الكريمة يثير العجب فقد ورد هذا الوصف بصيغة المبالغة على لسان الكفار في تعجبهم من جعل الآلهة إلها واحدا:" أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ ص

(80) اعتذر من شيخنا أد فضل عباس – رحمه الله تعالى – مخالفته حيث قال: {إن هذا الذي أعطيه النبي – صلى الله عليه وسلم- هو قليل في حقه } وذلك في بيانه الفرق بي الإيتاء والإعطاء. انظر إعجاز القرآن الكريم: 172،الطبعة السابعة 2009م دار النفائس عمان/ الأردن



- بعض المفردات التي ذكرت في السورة الكريمة لم ترد في القرآن إلا في هذه السورة، مثل مفردة (الخصم) و(الصافنات) أو كانت نادرة الورود مثل مفردة (الخصمان)[81] و(المحراب)[82]، وفي ذلك إشارة فيما أرى – والله أعلم – إلى غرابة القصتين اللتين ذكرتا فيها مما يستدعي مزيدا من التدبر.

هذا هو محور سورة ص، من داود إلى سليمان إلى أيوب الآواب الذي وهبه مولاه تعالى أهله ومثلهم معهم بعد البلاء[83]، وتلك نماذج عظيمة واسى بها الرحمن حبيبه المصطفى –صلى الله تعالى عليه وعلى آله– بعد أن أمره بالصبر على من نفد صبرهم عن انتظار يوم الحساب:" وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ص، فكما مكّن هؤلاء العظام ووهبهم في الدنيا قبل الآخرة؛ فلا بدّ أن يمكّن لخيرة خلقه- صلى الله عليه وآله – ويهبه، ويستخلف أمته، ما دام هذاالقرآن لها ذكرا، كما استهلت به تلك السورة العظيمة، وما دامت تلك النماذج العظام لها أسوة، ولعلّ ذلك سببا لتكرار مفردة (أذكر) في السورة الكريمة، أذكر داود، واذكر عبدنا أيوب، واذكر عبادنا إبراهيم و إسحق و يعقوب، واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل، ثم جاء بعد ذلك، هذا ذكر، ثم، إن هو إلا ذكر للعالمين، وهذا الذكر نبأ عظيم[84]، ما كان ينبغي للبشرأن يكونوا عنه معرضون، وفي الأرض هم مفسدون, وهذا ما دعا الملأ الأعلى لجهلم بالحكمة من خلق آدم، أن يختصموا[85]، وكذلك سيختصموا أهل النار:" إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ص

اللهم أنت أهل للحمد فلك الحمد كله، ومنك الرجاء بجزيل العطاء وحسن المآب فاجعل نصيبنا وافرا منه

الخاتمة :

خلصت هذه الدراسة إلى ما يلي:

1-أن التدبر في القرآن جاء على ثلاثة معانٍ:

---

(81) ذُكرت في سورة الحج آية 19، ووردت مادتها في القرآن في ثمانية عشر موضعا

(82) في سورة آل عمران آية 37 و 39

(83) أنظر آية 41-44 من سورة ص

(84) والقول بأنه: القرآن، هو أحد الوجوه التي ذكرها الرازي في تفسيره: 407/26

(85) أنظر آية 67- 71 من سورة ص



– المعنى اللغوي وهو أن الدبر خلاف القبل وذكر في القرآن في أكثر من موضع منها قوله تعالى:"وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ الأنفال

– وجاء بمعنى تقدير الأمرووقوعه كما قدر له، ولا يملك ذلك إلا الخالق – سبحانه – أو الملائكة المؤتمرون بأمره

– وجاء أمرا تكليفيا، إما نعيا على من أعرض عن التدبر أو مدحا لمن عمل بمقتضاه بوصفهم بإولي الألباب، وذلك في أربع سور[86]

2– جاء (التذكر) في القرآن بصيغ مختلفة والذي يعني هذه الدراسة هي المواضع التي جاءت تأمر به وتنعى على الذين أعرضوا عنه، وأن كل هذه المواضع جاءت في القرآن في سياق الأمور الواضحات التي لا تحتاج إلا القليل من التأمل للوقوف على حقيقة ما لفتت إليه الآيات، و هي أدنى درجات التأمل ويليها التفكر ثم التعقل

3– وفي الفاصلة القرآنية (أولو الألباب) ذكرت أهم السياقات التي جاءت فيها وصنفتها في أربع مجموعات و أن اقتران التذكر بإولي الألباب جاء في الأمور التي تهتدي إليها العقول المبرأة من الهوى.

4– كون الآية الوحيدة التي أمرت المؤمنين خاصة بالتدبر قد جاءت بين قصتي داود وسليمان العجيبتين وامتازت بالأمر بالتدبر والتذكر و نُعت القرآن فيها بالمبارك و فُصلت بإولي الألباب، كل ذلك يستدعي مزيدا من العناية بما تضمنته تينك القصة على الخصوص وسورة (ص) بتمامها على العموم، وعلى ضوء ذلك استنبطت ومضات منها:

خخصوصية أسلوب (وهل أتاك) الذي لم يرد في القرآن إلا في ستة مواضع

دلالات مفردة (النبأ) التي تصدّرت قصة داود ومُزيتها عن مفردة (الحديث) وأن الأولى لا تأتي إلا لأمر عظيم سواء أكان من شؤون الدنيا أم من شؤون الآخرة، وأنها تفيد اليقين أو غلبة الظن و الارتفاع، وكونها ارتبطت بقصة داود –عليه السلام – في سورة ص فهذا يدلّ على عظم شأن هذه القصة وأن أهم ركن فيها

---

(86) النساء82، و المؤمنون 68 و ص 29 و محمد 24



مما يتعلق بالملك، وأهم أسس تثبيته هو (العدل) الذي نُبّه إليه داود – عليه السلام – حين ابتلائه بالخصمين الذين تسوروا المحراب، ومن المفردات التي تؤكد عظم ملك داود أيضا، مفردة (المحراب) التي تفيد معنى التحصين سواء النفسي من وساوس الشيطان أم الخارجي من الأعداء، وهو ما احتاط به داود، وهو الوحيد بين الأنبياء الذي ذكرت له خلافة الأرض بعد آدم

ومن قصة سليمان – عليه السلام – الذي ورث الملك عن أبيه ليكمل مسيرة نشر الخير، استنبطت أن استمرار هذا الملك والحفاظ عليه لا يكون إلا (بالقوة) التي تمثّلت بشدّة اهتمامه بالخيل والتي هي الخير كله كما جاء التعبير عنها في سورة ص، وقد فُتن بها سليمان ثم أناب إلى مولاه طالباً ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، متمثلا بالقوة التي بها يصان الملك، كذلك فهي التي تضمن استمرار رسالة السماء كما نصّت على ذلك سورة الحديد، لذلك لم يلن الله – تعالى – الحديد إلا للملك العظيم والنبي الكريم داود –عليه السلام– أعظم ملوك الأرض .

5- أما من تلك السورة العظيمة فقد استوحيت هذه الخواطر:

إن محور السورة هو: أن المنّ بالعطاء لا يكون إلا بعد الصبر على البلاء، وأن مما يُعين على التدبر ومن ثمّ هبات الرحمن لأوليائه: العلم، و الاجتهاد في العبادة

- إن بعض المفردات التي وردت في السورة الكريمة لم ترد في غيرها من السور وهي: الصافنات، والمحراب، والنعجة.. وفي ذلك –كما أرى – إشارة إلى غرابة القصتين المذكورتين في السورة الكريمة، وهو ما يستدعي مزيد تأمل

- إن هؤلاء العظام من الأنبياء من داود إلى سليمان إلى أيوب – عليهم السلام – نماذج يُتأسى بهم في العبادة والعلم والصبر، وحيث وهبهم الله تعالى تلك الهبات العظيمة فإن حبيبه - صلى الله عليه وآله- وأمته، أولى أن يهبهم الكريم: التمكين والقوة، ولا يكون إلا بعد الثبات، واجتياز الابتلاءات، وعليه فإني أوصي نفسي وكل من شرّفه الله تعالى بحب كتاب الله، إدامة التدبر لهذا الكتاب العظيم، مستعينا بالكريم –سبحانه- متسلّحا بشتى المعارف والعلوم، ليهبه الوهاب من خزائن جوده ما يرشده لمعاني الكتاب المبارك.

أخيرا فإن هذا ما استطعت تحصيّله من تدبري لتلك السورة العظيمة، وهو جهد المقل، وهيهات لطاقة من تفرّد بالتدبر أن يغرف إلا بصيصا من بحار أنوار علم من لا تنقضي أسرار علومه، فإن كان ما وصلت إليه خيرا؛ فهو من كرم مولاي، وإلا فعذري أنني ممن بضاعته في العلم مزجاة.



المراجع:

1.ابن عاشور، محمد الطاهر (ت1973م) التحرير والتنوير، الطبعة الأولى 2000م ، مؤسسة التاريخ/ بيروت

2.ابن عطيه، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام(ت546هـ) المحرر الوجيز، المكتبة الشاملة

3.ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون طبعة 1979م، دار الكتب

4.أبن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت774هـ) التفسير العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامه،الطبعة الثانية 1999م، دار طيبه للنشر والتوزيع

5.ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711 هـ) لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر/ بيروت

6.أبو حيان، محمد بن يوسف(ت754هـ) البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية/ بيروت 2001م

7.الآلوسي، شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني (ت1852م) روح المعاني، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية/ بيروت

8.البقاعي،إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت 885 هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية/ بيروت

9. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت 951هـ) إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي /بيروت

10. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(ت685هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المكتبة الشاملة

11. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 875 هـ) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المكتبة الشاملة

12. قطب، سيد بن ابراهيم(ت 1965م) في ظلال القرآن، دار العلم للطباعة/جدة



13. الإسكافي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب (ت 431هـ) درة التنزيل، الطبعة الأولى 2002م، دار المعرفة بيروت/لبنان

14. العسكري، أبو هلال، الحسين بن عبدالله بن سهل (ت400هـ) الفروق اللغوية، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية/بيروت

15. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، (ت 538 هـ) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى 1986م، دار المعرفة

16. رضا، محمد رشيد (ت1935م) تفسير القرآن الحكيم(المنار) دار الكتب العلمية/ بيروت

17. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الملقب بفخر الدين (ت 606 هـ) مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة 1999م، دار إحياء التراث العربي/بيروت

18. الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502 هـ) مفردات القرآن، تحقيق: محمد سيد الكيلاني 1961م، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي

19. الزمخشري، أبو القاسم، جارالله ، محمد بن عمر(ت538هـ) دار المعرفة بيروت/لبنان

20.الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت1205م) تاج العروس عن جواهر القاموس مجموعة من المحققين، دارالهداية

20. النخجواني،نعمة الله بن محمود، ويعرف بالشيخ علوان (ت 920هـ) الطبعة الأولى 1999م، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار كابي للنشر، الغورية/مصر

21. السمين الحلبي، احمد بن يوسف بن عبد الدايم(ت756هـ) الدر المصون، دار الكتب العلمية /بيروت

22. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت489هـ) تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، ط 1996م، دار الوطن/الرياض

23. الشعراوي، محمد متولي (ت 1418هـ) التفسير، مطابع أخبار اليوم 1997م



24. الشوكاني،أبو علي محمد بن علي بن محمد بن عبدالله(ت125هـ) فتح القدير، الطبعة الأولى1414 هـ، دار ابن كثير، و دار الكلم الطيب دمشق/ بيروت

25. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت310 هـ) جامع البيان في تأويل آي القرآن ، المحقق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة

26. البخاري، أبو عبدالله، محمد بن اسماعيل (ت256هـ) الصحيح، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى 1422هـ، دار طوق النجاة

27. عباس، فضل حسن(ت2011م)

1.تفسير القرآن المجيد، إعداد اللجنة العلمية/ جمعية المحافظة على القرآن، الطبعة الأولى 2017م، نشرته إذاعة حياة عمان

2-إعجاز القرآن الكريم، الطبعة السابعة 2009م دار النفائس عمان/ الأردن

28. عبد الباقي، محمد فؤاد (ت1967م) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار إحياء التراث العربي/ بيروت

29. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت 510هـ) معالم التنزيل، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى 1420هـ، دار إحياء التراث العربي/بيروت

30. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت671هـ) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية1964م، دار الكتب المصرية/القاهرة

31. المراغي، أحمد مصطفى(ت 1952م) التفسير، الطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1365هـ

32. فضل الله، محمد حسين(ت2010م) من وحي القرآن، الطبعة الثانية 1998م، دار الملاك/بيروت

33. مغنية، محمد جواد(ت1979م) التفسير الكاشف، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين/بيروت



